Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التغريب و أثره الحضاري على الدولة العثمانية خلال عهد التوليب بين الحقيقة والمبالغة.

Westernization and its Civilization Impact on the Ottoman Empire During the Tulip Era: Between Reality and Exaggeration.

1. سهام بومنير Siham Boumenir ، 2. نادية طرشون Nadia Tarchoun

1 طالبة دكتوراه، جامعة يحي فارس المدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، مخبر الدراسات التاريخية عبر العصور.

PhD student, Dr. Yahiya Fares University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Humanities, Mediterranean Historical Studies Laboratory Throughout the ages.

boumenir.siham@univ-medea.dz

2 أستاذ التعليم العالي، جامعة يحي فارس المدية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، مخبر الدراسات التاريخية عبر العصور.

Professor of Higher Education, Yahia Fares University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Humanities, Mediterranean Historical Studies Laboratory Throughout the ages.

terchoun.nadia@univ-medea.dz

المؤلف المرسل: سهام بومنير Siham Boumenir الإيميل: boumenir.siham@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 31 – 08 - 2023 تاريخ القبول : 02 – 04 - 2024

الملخص:

يعرض هذا البحث أهم سمات التغريب التي عرفتها الدولة العثمانية مطلع القرن الثامن عشر، الفترة التي عرفت في التاريخ العثماني بعصر اللاله أو التوليب في جوانبها الحضارية، خاصة أن آراء المؤرخين متضاربة في تقييمها وتثمين نتائجها. بعضهم رآها نتاج الأفكار والأساليب القادمة من أوروبا وتقليدها دون تمحيص، بينما أكّد آخرون أنها مجرد امتداد للتحولات السياسية والاقتصادية التي عرفتها الدولة العثمانية منذ القرن السابع عشر، فالهدف من الدراسة هو عرض جوانب من هده الآراء وإعادة تقييم هذه الفترة على أساسها.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، التغريب، عصر التوليب، الاستهلاك، الدراسات التاريخية.

Abstract:

The research highlights key aspects of Ottoman modernization in the early 18th century, known as the "Tulip Era." Historians differ in their views, with some seeing it as European-inspired imitation, while others view it as an extension of earlier political and economic shifts. The study aims to present and reassess these viewpoints regarding this transformative period.

Keywords: Ottoman Empire, Westernization, Tulip Era, Consumption, Historical studies.

مقدمة:

عرفت الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر تحولات مست جميع الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية، فقد خرجت لتوها من حرب طويلة ضد حلف جمع الإمبراطورية النمساوية، والبندقية وروسيا. وانتهت بهزيمة نكراء تبعتها معاهدة كارلوفجه 1699م[1]؛ إذ تعد أولى المعاهدات التي تخلت فيها الدولة العثمانية عن أراضي لها في أوروبا.

هذه الأوضاع دفعت بالسلطان أحمد الثالث[2]، والصدر الأعظم إبراهيم باشا[3] إلى اتباع سياسة خارجية تدعو للسلام مع القوى الأوروبية، والانفتاح على العالم الخارجي بدل سياسة التقوقع التي اتبعتها سابقا؛ إذ بدأ الباب العالي في البحث عن أسباب التفوق الأوروبي، والأخذ بها ومحاولة تجسيدها. وعرفت هذه الفترة التي امتدت من 1718م إلى غاية 1830م في التاريخ العثماني بعصر التوليب وهي تسمية أطلقها المؤرخ أحمد رفيق التناي نظرا لإعجاب القصر والمجتمع الاسطنبولي آنذاك بزهرة الزنبق أو التوليب.

اهتمام الدولة في هذه الفترة لم يقتصر على الجانب السياسي والعسكري بل تعداه للمظاهر الاجتماعية والحضارية، خاصة في نمط العيش وأنماط العمارة وما يرافقها من فنون؛ حيث وصلت ممارسات المتعة والترفيه لذروتها وارتبطت صورة القرن الثامن عشر بها. كما شهدت هذه الفترة تشييد العديد من المباني تشكلت من قصور وحدائق وأكشاك صيفية ونوافير وأسبلة. كل هذه المظاهر الحضارية اعتبرها المؤرخون المتأخرون في الدولة العثمانية، وحتى العهد الجمهوري مجرد استهلاك مفرط لا تنم إلا عن الضعف، والتقليد الأعمى للأوروبيين، في حين أن الدراسات التاريخية الحديثة فنّدت تلك الأحكام واعتبرت التطورات التي شهدتها الدولة والمجتمع ما هي إلا استمرارية للتحولات الناتجة عن الوضع الدولي العام.

انطلاقا مما سبق؛ نحاول في هذه الدراسة التعرف على مظاهر التغريب الحضارية في الدولة العثمانية في مطلع القرن الثامن عشر، وهل هي نتيجة تماهي وتقليد أعمى؟ أم هو نمط فرضته التحولات الداخلية والخارجية المحيطة بالدولة العثمانية؟ وإلى أي مدى ساهمت الدراسات التاريخية في تحديد صفة هذه المرحلة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية حددنا تعريفا لمفهوم التغريب وأهم روافده في الدولة العثمانية، عرجنا بعدها على أهم المظاهر الاجتماعية والعمرانية التي عرفتها الدولة في فترة التوليب، لنحاول بعدها نقد وتحليل هذه المظاهر على ضوء الأوضاع التي كانت تشهدها الدولة العثمانية داخليا وخارجيا انطلاقا من الدراسات الحديثة قي هذا المجال. لنصل في النهاية لبعض الاستنتاجات ضمناها في الخاتمة.

المحور الأول: التغريب ورو افده في الدولة العثمانية خلال عصر التوليب

لطالما كانت أوروبا بالنسبة للدولة العثمانية دار كفر وحرب، وسياستها الوحيدة اتجاهها الجهاد خاصة أن الدولة العثمانية في عصرها الذهبي امتلكت قوة عسكرية لا تضاهيها أي قوة أوروبية ما جعلها تتوسع في أراضيها حتى وصلت أسوار فيينا عام 1529م، إلا أن هذه القوة بدأت تضعف وتهن مقابل التطور الذي عرفته أوروبا، فتلقى العثمانيون أولى هزائمهم في حصار فيينا الثاني 1683م لتتوالى عليها مجموعة من الانتكاسات أمام التحالفات الأوروبية وانتهت بعقد معاهدات تراجعت فيها الدولة العثمانية عن أراضيها في شرق أوروبا كمعادة كارلوفجه 1699م، وبيساروفجه 1713م.

أمام هذه الهزائم بدأت شخصيات في الدولة تطالب بضرورة الإصلاح والتعرف على أسباب تطور القوى الأوروبية التي كانت في وقت غير بعيد تعيش حالة من الضعف والتخلف على رأسهم روسيا التي عرفت تطورا كبيرا بسبب سياسة بطرس الأول(1672-1725م) وإصلاحاته التي اعتمدت على نشر العلوم والتقنيات الأوروبية المتطورة داخل دولته[4]. فبدأ السلطان أحمد الثالث وصدره الأعظم إبراهيم باشا انتهاج سياسة مسالمة ومنفتحة على العالم الخارجي، والتعرف على المظاهر الحضارية لأوروبا وسبل الاستنباط منها وتجسيدها في برنامج إصلاحي كانت ملامحه التغريب وتعددت الأوصاف التي أطلقت على هذه الفترة، غير أن أشهرها كان دور الزنبق، اللاله، وكلها ترمز لزهور التوليب التي انتشرت في المجتمع العثماني بكل أطيافه، وأصبحت رمز هذه الفترة الزمنية من تاريخ الدولة العثمانية.

أولا- مفهوم التغريب:

التغريب لغة مشتق من لفظ غرب، اغترب، تغرب نزح عن الوطن وابتعد عنه[5]، أما في لسان العرب فجاء فيه أغرب

القوم أتوا الغرب، تغرب، متغرب أتى من جهة الغرب، والتغرب هو البعد وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزاني سنة أي نفيه عن بلده[6]، فالتغريب هو الابتعاد عن المكان والديار، كما هو أي قادم من جهة الغرب.

أما مفاهيمياً فهو يعبر عن التأثيرات الفكرية الوافدة من أوروبا على العالم الإسلامي في العصر الحديث، وأحد أهم العوامل التي ارتبطت بالإصلاح وطبعته بالطابع الأوروبي وغيرت مفاهيمه وأساليبه، بعد أن ظل رواده طيلة القرن السابع عشر ينادون بضرورة الرجوع إلى المبادئ والمؤسسات الهيكلية الأولى للدولة العثمانية[7].

ثانيا- رو افد التغريب:

عرفت الأفكار الغربية عدة منافذ ولجت من خلالها للدولة العثمانية وإن كانت هذه المنافذ في البداية قد أعدها القائمون على شؤون الدولة آنذاك في إطار الإصلاحات التي كانوا يريدون إقامتها ومن أهم هذه الروافد نجد:

1- البعثات الديبلوماسية:

منذ قيام الدولة العثمانية وهي على علاقات ديبلوماسية مع المماليك والامبراطوريات المحيطة بها غير أن هذه البعثات كانت لمهام مؤقتة كعقد صلح أو تهنئة ملك باعتلائه العرش ونادرا ما كان يتم وصف مفصل لمجريات الزيارة بل يكتفي السفير بتقرير سري عن مهام بعثته[8]، لكن مع تغير موازين القوى وتحول أوروبا إلى قوة عظمى بدأت الدولة العثمانية تولي اهتماماً أكبر لهذه البعثات، وكانت البداية عام 1720 عندما كلّف محمد جلبي أفندي (1670-1732م)- الذي اشتهر بلقب يگرمي سكيز نسبة لفرقة الانكشارية رقم 28 التي انضم إليها- بسفارة إلى فرنسا ولا تكمن أهميتها في المهمة الرسمية التي صرّح عنها الباب العالي المتمثلة في إقرار روابط الصداقة والتعاون بين البلدين وتبليغ الملك لويس الخامس عشر عن البدء في مشروع ترميم كنيسة القيامة في القدس، بقدر أهمية نتائجها وما جاء في تقرير السفير الذي سيكون النموذج والمنهج للسفارات العثمانية اللاحقة[9]. فقد ركز محمد يگرمي سكيز في تقريره على المظاهر الحضارية الأوروبية التي يمكن أن تجسّد في الدولة العثمانية، فوصف وشرح كل المظاهر المدنية والعلمية والفنية التي رآها في فرنسا، وبلغة جميلة استطاع أن يوصلها للقائمين على سياسة الدولة وقد مكنه من ذلك دقة ملاحظته وبديهته، فوصف مصنع السجاد وطريقة نسجه وتزيينه بالألوان والقصب والذهب، نفس الأمر عندما وصف مصنع المرايا فذكر عدد الآلات والعمال بها ومراحل تصنيعها. أما زيارته للمرصد الفلكي فكانت من أهم تجاربه إثارة فتحدث عن آلاته الفلكية وقدرتها في رصد الكواكب والنجوم والظواهر الفلكية، وذكر طرق رفع المياه ووصف التلسكوب بدقة. كما شرح بإسهاب عمل قناة ميدي (Canal De Midi) دون أن يغفل عن أهميتها الاقتصادية ودورها في عملية النقل وتسهيله[10].

كما تناول في التقرير المنشآت العمرانية الحضرية، ولم يخف مدى إعجابه بها، فسرد تفاصيلها وزخارفها وأثاثها وتزيين جدرانها باللوحات الفنية كالقصور الملكية مثل قصر فرساي(Versailles)، قصر سان كلو(Saint cloud)، قصر ميدون(Meudon). فضلاً عن استرساله في وصف الحدائق التي شاهدها[11]. لا جدل أن سفارة محمد يگرمي سكيز كانت أول لقاء ثقافي عثماني أوروبي يتم فيه استيعاب التباين والاختلاف بين الحضارتين ويكوّن نظرة عن أوروبا انطلاقاً من تجربة شخصية، وتقبل الآخر هو الذي سينعكس في تقريره ويفتح أول أبواب الدولة العثمانية على المؤثرات الغربية.

2- المطبعة:

تعد المطبعة أهم رافد انتقل عبره الفكر الأوروبي والغربي للدولة العثمانية، فهي نتيجة مباشرة لسفارة محمد يگرمي سكيز؛ إذ اقترح ابنه محمد سعيد أفندي – الذي رافقه في سفارته لفرنسا – الفكرة على إبراهيم متفرقة[12]وبمعيته تمكن من تأسيس أول مطبعة عثمانية عام 1728م[13]، بتمويل من الصدر الأعظم إبراهيم باشا، بعد حصولهم على فتوى شرعية من شيخ الإسلام تجيز طبع الكتب العلمية دون الشرعية[14]. بعد سنتين كللت جهود متفرقة وسعيد أفندي بأول عمل مطبوع يتمثل في معجم "وان قولي" في جزأين وهو ترجمة تركية لمعجم "الصحاح للجوهري" لتظهر أعمال مطبوعة تتنوع بين كتب في اللغة والأدب التركيين، ومعاجم لتعليم اللغة العربية والفرنسية مثل "قاموس منسكي" التركي الفرنسي، والعديد من كتب التاريخ والجغرافيا أهمها "تحفة الكبار في أسفار البحار" لكاتب جلبي و"تاريخ سيّاح" و"كتاب تاريخ الهند الغربية" و"مرآة العالم جهنناما" إضافة إلى "تقويم التواريخ" وغيرها، لقد عمل متفرقة على تحقيق هذه الكتب وفهرستها وإعادة رسم الخرائط الموجودة بها.

في نفس الوقت؛ قام بتأليف الكثير من الكتب في علم السياسة والجغرافية والفيزياء منها كتابه الشهير "أصول

الحكم في نظام الأمم" وكتابه "فيوضات مغناطيسية" الذي تحدث فيه عن فوائد المغناطيس وطبيعته، كما نشر تمهيد للهندسة وجمع فيه نظريات كوبرنيكوس[15]، وبهذا يكون إبراهيم متفرقة ومطبعته قد ساهما في يقظة علمية حقيقية لدى العثمانيين قائمة على نشر العلوم الحديثة والتأليف والترجمة التي بإمكانها دفع عجلة الإصلاح والتحديث.

3- الترجمة:

ساهمت الترجمة بدورها في نقل المؤثرات الغربية للدولة العثمانية ولو أنها كانت موجودة منذ نشأة الدولة في إطار تعاملاتها الدولية، إلا أنها اقتصرت على الجانب السياسي والديبلوماسي. لكن مع القرن الثامن عشر أصبحت الترجمة ومعرفة اللغات ضرورة للاطلاع على حضارة الغرب ومسبباتها. وعلى عهد السلطان أحمد الثالث قام إبراهيم باشا بتشكيل لجنة للترجمة تتكون من خمسة وعشرين شخصا، ترجمت في البداية بعض الكتب العربية والفارسية، بعدها اتجهت لترجمة الكتب الغربية فترجم أسعد أفندي فيزياء أرسطو من اليونانية للعربية وأتى على ذكر التليسكوب والميكروسكوب لأول مرة في الدولة العثمانية، غير أن معظم ترجمات هذه اللجنة بقيت مخطوط بسبب تعطل مطبعة متفرقة[16]. وإن كانت ترجمة الكتب الغربية في هذه المرحلة قليلة، لكن مع تزايد الاهتمام بأوروبا تزايد عدد الكتب المترجمة وتشجيع تعلم اللغات الأجنبية.

المحور الثاني: مظاهر التغريب في المجتمع العثماني عصر التوليب.

ارتبط عصر التوليب في مخيال الأتراك ومؤرخيهم بمظاهر اجتماعية لم تكن معروفة أو منتشرة في المجتمع، كأنماط جديدة من الاستهلاك في اللبس والأكل، وتصرفات غير معهودة في الحياة اليومية؛ إذ أصبحت تميل أكثر لليونة والنعومة، وانتشار الاحتفالات الموسمية والتدفق على الحدائق العامة وضفاف الممرات المائية في الكاغطخانة والبسفور، وبداية النزهات المختلطة بين الرجال والنساء.

أولا- احتفالات القصر والتظاهرات الاجتماعية:

بدأت مظاهر هذه الممارسات عندما حاول ابراهيم باشا إبطال الصورة النمطية التي ارتسمت في أذهان الناس عن السلطان واعتبار حياته سرية لا يحق لأي كان الاطلاع عليها، ما خلق فجوة بينه وبين رعيته تعززت أكثر بعد حالة الضعف التي ظهرت عليها الدولة نهاية القرن السابع عشر. ما جعله يتبنى استراتيجية تقرب السلطان من الرعية من خلال تعزيز ظهوره في حفلات وتجمعات مشتركة[17].

فأقام حفلات زفاف بناته عتيقة وخديجة وأم كلثوم، بيد أن حفل زفاف الأميرة فاطمة سلطان من الصدر الأعظم إبراهيم باشا كان أعظمها[18]. وقد وصفت الليدي ماري منتجو زوجة السفير البريطاني كيف زفت الأميرة لبيت زوجها بكل فخامة وأن النساء عرضن أناقتهن وأبهتهن[19]. كما نظمت ما بين 18 سبتمبر إلى 07 أكتوبر من عام 1720م حفلات ختان أربعة من أولاده إلى جانب الأولاد الذين لم يختنوا من بين سكان المدينة وأبناء المسؤولين وكبار الشخصيات، واستمتع آلاف الأشخاص من شرائح اجتماعية مختلفة بالطعام والشراب والملابس والترفيه المجاني وكانت هذه الاحتفالات تنشر البهجة والحماس بين الناس وسط إسطنبول؛ إذ نظمت فيها منافسات الرماية وفنون قتالية، وعروض القوارب في الممرات المائية للقرن الذهبي، كما تم إطلاق الألعاب النارية[20].

علاوة على ذلك؛ شهدت اسطنبول احتفالات خاصة بالسلطان وموظفي القصر في ليالي شهر رمضان وأيام العيد، إضافة إلى مهرجانات الربيع. وأصبحت هذه الاحتفالات وانتقالات السلطان بين قصوره على طول البسفور من الأحداث الهامة التي ترافقها طقوس خاصة كنقل الأثاث، والطعام، والخدم، وتشهدها الرعية حتى أنها وُثقت في سجلات الدولة، كما سجلها الرحالة الأوروبيون الذين زاروا اسطنبول وقتها[21].

فضلاً عن ذلك؛ انتشرت ثقافة الخروج للحدائق والمنتزهات بين طبقات المجتمع العثماني؛ إذ يصف سفير فرنسي توافد العثمانيون على موقع سعد أباد ومنطقة الكاغطخانة فيقول: "...**يبدو أن الأتراك قد حققوا تغييرًا في الروح والميل مع إقامة هذا المكان الممتع. كما تعلمون، يا سيدي، أنهم لم يكونوا أبدًا شعبًا محبًا للنزهة، وقد أصبحوا كذلك. هناك أيام يتم فيها تو افد الكثير من الناس على هذا المكان بنفس كثرة تو افد الناس على كورلا رين وشانزيليزيه. السكان المحليين والأجانب من جميع الأعمار والجنسيات يذهبون هناك إلى سعد اباد بمفردهم...**"[22]. فأنشطة التسلية والاحتفالات لم تكن خاصة بالسلطان والطبقة الحاكمة والأثرياء وحدهم، بل شارك فيها أعضاء النقابات وأطياف متنوعة من المجتمع، كما قدمت فيها عروض مسرحية شعبية

للقره غوز (Karagöz) (مسرح خيال الظل) والأورتايونو(مسرح الدمى)[23].

ثانيا- بروز المرأة في الحياة الاجتماعية:

شاركت المرأة بدورها في هذه التحولات الاجتماعية، فاعتبرت الأميرات الاحتفال في حدائقهن الخاصة جزء من المتعة التي تحبّبنها لاسيما في الحديقة الداخلية المليئة بالأكشاك والمحاطة بأشجار السرو الطويلة والمزدانة بأزهار التوليب والفوانيس، فكانت عصمت سلطان ابنة أحمد الثالث تجمع أخواتها وبنات عمومتها للاحتفال في الحديقة التي ستتحول بقدوم القابلات اللاتي تبعن السلع الأوروبية إلى بازار ليلي[24]. وقد استضافت الدولة في هذه الفترة أعداد كبيرة من المقيمين الأجانب كالتجار والحرفيين والديبلوماسيين خاصة الفرنسيين الذين استقروا في اسطنبول وبقية المدن الكبرى والمراكز التجارية فنتج عن هذا اتصالات وروابط بينهم وبين المجتمع العثماني تطورت لزيجات بين هؤلاء المقيمين وبعض النساء العثمانيات المسيحيات، وقد عملن على نقل المؤثرات الثقافية والهويات الجديدة لبقية المجتمع. فأصبح اقتناء السلع والعناصر القادمة من أوروبا، وتجربة العادات والتقاليد المختلفة كالطهي، وانتشار الأزياء والأذواق الجديدة سمة من سمات الحياة اليومية لسكان هذه المدن خاصة النساء [25].

ولم تقتصر أماكن المتعة للمرأة على القصور والبيوت الخاصة، بل أصبحت أكثر خروجا وحضورا في الأماكن العامة كالأسواق والحدائق، وبعد أن كان لباسها يتألف من الشلوار الفضفاض وقميص طويل الاكمام بلا ياقة يصل للكاحل، إضافة للأنتاري - رداء طويل مفتوح من الأمام- المربوط بحزام أو القفطان المزين بالفراء. وإذا ما خرجت لتبادل الزيارات أو الذهاب للحمام كانت ترتدي الفراس وهو معطف طويل بياقة مربعة يغطي الجسم كاملا غالبا يكون لونه أزرق ليلي مع وضع البشمك على الرأس- الخمار والنقاب -[26] أصبحت تخرج مرتدية ملابس أكثر لفت للانتباه من خلال التفصيلات الجديدة والأقمشة ذات الألوان الزاهية المشرقة وأربطة تمتد على الياقات وأحزمة مصنوعة من الساتان أو الكشمير توضع على الخصر، إضافة لفساتين تتكون من ثلاث تنانير يكون الفستان مفتوح من الأمام والأكمام قصيرة مزينة مع الياقة والأطراف بالدانتيل. كما أصبح البشمك أكثر رقة وشفافية وحل محل الترزين مصممين أوروبيين ودور أزياء في حي غلطة وأصبحت نساء القصر زبائنهن الدائمين، مع افتتاح محلات الألبسة الجاهزة التي تعرض آخر صيحات الموضة الأوروبية وجميع ما تحتاجه المرأة لزينتها، كما انتشرت أساليب جديدة لتصفيف الشعر منها إنزال الغرة على الجبين[27].

ثالثا- اتساع ثقافة الاستهلاك في المجتمع العثماني:

تعمقت في هذه الفترة ظاهرة الإقبال على المواد الاستهلاكية المختلفة، وارتبطت هذه الثقافة بمظاهر التغريب في المجتمع العثماني فمثلاً بمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية بالذهاب للحدائق والمنتزهات، زاد امتلاكها لأنواع الفراس والفرو المتعدد الألوان، ومع أن المجتمع العثماني ونمط الاستهلاك التقليدي يجعل الفساتين والقفاطين والفراس أمر ضروري للنساء إلا أن الظروف الاجتماعية للقرن الثامن عشر غيرت تصوّرهن وأصبحت هذه الملابس ضرورية حتى للناس العاديين[28]. وقد لاحظت مونتجو أن الحرية التي تمتعت بها المرأة خاصة الأرستقراطية في كنف المجتمع العثماني، الخالية من تحديات الحياة العامة، أتاح لها الوقت للتفرغ لنفسها والاستماع بمباهج الحياة كالزيارات، والاستحمام، الخروج للحدائق والمنتزهات أو التسلية الممتعة بإنفاق المال على الملابس وابتكار صيحات جديدة، ومن ثمة الانغماس في أنماط جديدة من الاستهلاك المفرط[29].

كما انتشر الاستهلاك في أوساط الطبقة الحاكمة، فهناك بيان رسمي يفيد أن السيد لونوار مترجم السفارة الفرنسية في إسطنبول، قد أرسل إلى باريس بأوامر من الصدر الأعظم لجلب بعض السلع المتنوعة من هناك، وشملت تلك القائمة النظارات، الساعات، التلسكوبات، والميكروسكوبات، المرايا، رأس تشريحي من الشمع. علاوة على أنواع من أقمشة القطن والتافتا، ومجموعة من الطاولات والخزائن الصغيرة والسجاد، وأنواع من الطيور والأزهار. لكن أكثر السلع إثارة للاهتمام كان طلب ألف زجاجة نبيذ من الشمبانيا وخمسمائة زجاجة من البورغندي. كانت كل هذه العناصر رموزًا مرتبطة بنمط معين من الحياة الذي أراد أعلى المسؤولين في الدولة تبنيه[30].

فحسب إحصاءات التجارة الخارجية في القرن الثامن عشر لوحظ أن قائمة جديدة من السلع الأوروبية أصبحت مطلوبة داخل أراضي الدولة العثمانية، مثل الأقمشة الصوفية الواردة من لانغدوك أو ليون، إضافة إلى الأدوات المعدنية والزجاجية، البورسلين، الأدوية، التحف النادرة، الساعات[31].

ولنظهر جانب من اتساع مجالات الاستهلاك نستشهد بإحصائيات قامت على تركات بعض رجال البلاط والنخبة تظهر العقارات، والأدوات التي كانت بحوزتهم. منها تقرير عن تركة آغا السعادة في القرن الثامن عشر يدعى كوجك بشير آغا (ت 1752م)، الذي امتلك قصرا خاصا به جهزه بمطبخ وحمام، في وقت كانت فيه الغرف المخصصة للمطبخ في البيوت العثمانية تعد جزء من الفخامة والأبهة. وبما أن عمل آغا السعادة مرتبط كله بالحرملك فإن امتلاكه لقصر خاص ومطبخ يدفعنا للتساؤل عن سبب وجودهما؟ وما حاجته لهما؟ إلا إذا كان يريد أن يبني لنفسه حياة خاصة مرفهة، كما تظهر مدى أخذه بأساليب التقدم والحداثة إقامته حفلات في قصره واستقباله الضيوف. وقد تم جرد الكثير من قطع المطبخ وتمثلت في الآنيات الفضية المصنوعة في أوروبا، إضافة إلى صواني دائرية تسمى "طابلة"، وفناجين من البورسلين المصنوعة في درسدن، والكريستال الفرنسي، وأواني خزفية صينية، وحتى أواني ذهبية مزينة بالأحجار الكريمة، إضافة للعديد من المفارش، الصواني والوسائد والستائر المطرزة[32].

ويرى كوارترت أن النبلاء باستخدامهم العرض الفاخر والاستهلاك البارز ببناء القصور، والاحتفالات، والعروض الاستثنائية، ما هو إلا دليل على منافسة شرسة على الاستهلاك داخل الحكم وبين النخب للحصول على مكانة اجتماعية والسيطرة والنفوذ[33]. وبهذا يتضح لنا أن موظفي البلاط وأعضاء النخبة الاجتماعية الثرية المتنامية بفعل الانفتاح الاقتصادي، حاكوا حياة السلاطين التي مالت للبذخ والتباهي لإظهار مركزهم وقوتهم، في مجتمع لم يكن للطبقة الأرستقراطية وجود منذ عهد السلطان محمد الفاتح (1451-1481م).

المحور الثالث: مظاهر التغريب في المجال العمراني والفني عصر التوليب.

حرصت الدولة العثمانية منذ بداياتها على ضرورة عكس قوتها من خلال المظهر العمراني، فجاء عظيم كعظمة قوتها العسكرية، واشتهرت بناياتها الكلاسيكية كالمساجد والقصور بطغيان الفن المعماري الإسلامي الممتزج بالأسلوب العربي والفارسي الذي ورثته عن السلاجقة رغم وجود تأثيرات بيزنطية في هذه المباني، وعادة ما زينت هذه الصروح بالنقوش والرسومات التي لم تتعدى الأشكال الهندسية والنباتية، وظلت هذه السمة في الهندسة المعمارية العثمانية حتى بداية القرن الثامن عشر إذ شهد مع مطلعه تحولا عمرانيا.

أولا- قصور الواجهة البحرية لإسطنبول:

مع فترة التوليب استحدثت أنواع جديدة من الفنون والأنماط الهندسية؛ إذ نجد العديد من القصور والأكشاك. وقد اهتم الصدر الأعظم إبراهيم باشا شخصيا بعملية إعادة تجديد اسطنبول، خاصة أن المدينة كانت قد عانت الإهمال بسبب الحروب التي خاضتها الدولة وما تبعها من أزمات اقتصادية ومالية. وبعد سياسة السلطة المتجهة نحو الإصلاح والتجديد بدأت تظهر مشاريع عمرانية، كانت أشهرها تلك التي أسست على الواجهة البحرية للبسفور التي تمتد من منطقة الكاغطخانة على الضفة الأوروبية إلى غاية يني كوي واسكودار على الضفة الآسيوية، فبعد أن تم تغيير مجرى النهر بدأت تظهر أروع المعالم العمرانية التي تشهد على جمال هذه المرحلة[34]. رغم أن هذه الفترة لم تعرف قصور ضخمة ومساجد بمآذن وقباب رائعة كالتي ظهرت على عهد سنان باشا، إلا أن إسطنبول عرفت رونقا جماليا لم تشهده من قبل من خلال تزيين أركانها بقصور ومكتبات ومسابح وحدائق مزودة بنوافير وأسبلة مزخرفة تعكس أناقة الفن الشرقي وتدخل عليها تموجات وتعرجات مذهبة مستنبطة من الأسلوب الغربي[35].

من أشهر وأفخم ما تم إقامته من قصور، القصر الذي شيده الصدر الأعظم علي سلحدار باشا للأميرة فاطمة سلطان ابنة أحمد الثالث، كان يقع بجوار البحر وتحيط من خلفه الغابات، ويحتوي على أكثر من ثمانمائة غرفة زينت كلها بالرخام، الذهب، الخشب، الصدف، الزمرد، وعلها زخارف ولوحات فنية على شكل فواكه وزهور. كانت نوافذه كلها مغطاة بزجاج الكريستال الإنجليزي أما الحمامات والنوافير والأرضيات فكلها مصنوعة من الرخام الأبيض[36].

غير أن أكثر المنشآت العمرانية شهرة خلال هذا القرن بأكمله كان قصر سعد آباد الذي يعني السعادة الأبدية، وهو القصر الصيفي لأحمد الثالث الذي بناه عام 1722م، وكان مقر احتفالات البلاط بالأعياد وإقامة السهرات، ولطالما كان رمزا لحياة البذخ والترف وحتى الفساد. ولأنه بني على نمط الباروك ظل لفترة طويلة مثالا للهندسة المعمارية المقلدة للغرب، خاصة فرنسا التي اعتبرت هندستها وقصر فرساي نموذجا ثقافيا لجميع ملوك أوروبا في القرن 18م، فهو رمز

الملكية المطلقة. انتقل هذا التأثير للدولة العثمانية خاصة بعد سفارة محمد يگرمي سكيز[37] الذي أحضر معه خطط هذه القصور لتطبيقها في القسطنطينية، وقد تم الكشف عن سلسلة من النقوش الاثني عشر في مكتبة متحف توب كابي التي تصور مواقع مختلفة من قصر فرساي وتوجد تعريفات قصيرة للمواقع باللغة العثمانية في أعلى كل نقشة[38].

بنيّ قصر سعد آباد في منطقة الكاغطخانة على ساحل البوسفور، شرع في بنائه شهر جوان 1722م تحت الرقابة الشخصية للصدر الأعظم، واستمر البناء حتى يومي الاثنين والخميس – وهما أيام العطلات الرسمية – وانتهى في أوت من نفس العام؛ حيث استغرق انجازه ستون يومًا فقط، بحيث كان توريد الرخام الذي استقدم من جنجيلكوي على الشاطئ الآسيوي أحد أسباب سرعة البناء، ويعد من أجود أنواع الرخام وقد بني به جدار القناة التي اشتهر بها القصر. تدفقت المياه في القناة من خلال سدّين وشكلت شلالات صغيرة تتجمع في بركة رخامية كبيرة، واحتوت على شرفتان بقباب لامعة على جانبيها وكانت المياه تتدفق من فم تنين [39].

استخدمت المياه بشكل بصري في هذا القصر من خلال القنوات والبرك على غرار قصور فرساي وفونتان بلو في فرنسا، كما بني مفتوحا على المدينة والمجتمع فتم تصميمه دون أسوار عالية تحيط به، بل تم إحاطته بسياج حجري مجوف حتى تكون ساحاته ظاهرة للناس. وقد امتد على مساحة كبيرة لأجل استغلالها كحدائق وأماكن استجمام، وتحول محيطه إلى مكان لإقامة الاحتفالات وإحياء المناسبات السعيدة[40]. بعد ثلاث سنوات من بناء قصر سعد آباد أمر الوزير إبراهيم باشا كبير المعماريين في القصر محمد أمين آغا ببناء القصر والحديقة الإمبراطورية آمنه آباد في منطقة فندكلي لتكون مقر إقامة الأميرة فاطمة سلطان، كما تم تشييد العديد من القصور على طول الواجهة البحرية كقصر نسيت آباد في منطقة بيبك، وقصر ثريا في كورو تشيشمه، إضافة لقصر الحديقة على الضفة الآسيوية للبسفور الذي شيّده الأميرال مصطفى باشا[41].

ثانيا- المنشآت العمرانية العامة والترفيهية:

رافقت هذه القصور العديد من الحدائق والمنتزهات والأكشاك خاصة أن الدولة والطبقة الحاكمة كانت ماضية على نهج الانفتاح على المجتمع، وكما العادة فعلاقة الترك بالطبيعة هي عامل مهم في حياتهم الحضرية بدءً من السلاجقة حتى انهيار الدولة العثمانية، خاصة أن الحدائق الرائعة عكست ثروة السلالة وقوة الدولة وحكم السلطان العادل والمناظر الطبيعية المثالية. إضافة لاعتبار المدينة امتدادا للطبيعة، لهذا بنيت منازلهم بالخشب عدا المساجد والقصور وكانت الحدائق تحيط بها، فشعر الناس أنهم قريبون من الطبيعة محاطين بالخضرة والماء[42].

مع تطور الدولة استبدلت الحدائق العثمانية المتواضعة بحدائق فاخرة كانت تستخدمها النخبة للمتعة والترف، فكانت عناصر لا غنى عنها في حياة القصر وأخذت تصميما غنيا ومغريا بأزهارها والبرك والنوافير التي تتوسطها أو تكون في جانبها. خارج مدينة اسطنبول أصبحت الضفاف على طول نهر كاغطخانه وجهة الترفيه للسلاطين والمسافرين الأجانب والسفراء وجميع سكان المدينة، وقد تمكن الوزير والطبقة الأرستقراطية من دمج موقع اسطنبول على طول مضيق البوسفور والقرن الذهبي بعناية في التخطيط الحضري، وتم تطوير أماكن الرحلات العامة، وأصبح محيط قصر سعد آباد والكاغطخانة مكان للحدائق العامة والمنتزهات التي تتوسطها الأكشاك والمضلات المحاطة ببرك الماء والنوافير. يُحتفل فيها بالأعياد والمناسبات، وتنظيم رحلات الصيد، وكان سكان اسطنبول يبحرون لها بواسطة قوارب تجديف، أما النساء فكنّ يحببن بشكل خاص ركوب المراجيح المنتصبة في هذه الحدائق[43].

علاوة على الحدائق اهتم العثمانيون هذه الفترة بمظهر عمراني يزين المباني والمساحات العامة والميادين، ألا وهو النوافير والأسبلة التي تعد من المنشآت الأكثر تميزاً في إسطنبول خلال القرن الثامن عشر. فقد تحول هذا الأثر العمراني القديم إلى رمز من الرموز الفنية الخاصة بتلك الفترة فتزايد عددها كما تنوعت هندستها وزخارفها، تزامن معها سلسلة من إصلاحات شملت البنية التحتية من خلال إصلاح السدود، والخزانات، وقنوات توصيل المياه للمدن.

زيادة على ذلك؛ كانت هذه النوافير بناء متطور عن النافورة الجدارية الكلاسيكية، التي تظهر في الأغلب داخل مجمع حضري يتكون من مسجد، ومدرسة دينية، ومكتب للأولاد. غير أنها شهدت في القرن الثامن عشر بذخا مفرطا في البناء والزخرفة، وقد تم بناء 37 نافورة جديدة ما بين 1703م و1710م على تلال بيوغلو وغلطة، وعلى شواطئ طوبخانه وبشكتاش، وفي قاسم باشا وهاسكوي على ضفاف القرن

الذهبي ومعروف أن هذه الأبنية في العادة تكون ضمن الأوقاف تبنى بمال المتصدق، لهذا بنيت 17 نافورة من المال الخاص لآغا دار السعادة خالص باشا[44]. وقد تغيرت نظره أهل اسطنبول للاستخدام الوظيفي للنوافير باعتبارها الممول الأول للمدينة بالمياه التي تحتاجها وأصبحت تستخدم على أساس جمالها الهندسي ومتعتها البصرية[45].

وتعد النافورة العامة أو نافورات الميدان السمة الأكثر رمزية للمناظر الطبيعية الحضرية في اسطنبول في القرن 18م، وأخذت نصيباً من التغيير مع أن شكلها بقي مربعا بينما أُدخلت عليها زخارف متأثرة بفن الباروك الأوروبي[46] ذات الانحناءات التي تشبه القواقع والأصداف وصفوف من الأحزمة والمقرنصات، كما استخدم التذهيب على الزخارف وأطراف الانحناءات. ومن أشهر النوافير نجد نافورة السلطان أحمد الثالث الواقعة في ميدان توب كابي، بناها المهندس قيصري محمد آغا عام 1729م، وكان بها أحواض من الجهات الأربعة، مع زوايا مائلة تعطيها المنظر الجمالي تعلوها أسقف من البرونز ووسطها قبة مذهبة[47]، لتظهر العديد من النوافير على هذا الطراز في معظم ميادين اسطنبول طبلة القرن الثامن عشر من أشهر هذه النوافير نافورة خديجة سلطان في إيوان سراي 1711م، ونافورة إبراهيم باشا 1719م[48].

ثالثا- التطور الفني ومظاهره:

نفس الأمر حدث للزخرفة والنقش والرسم؛ إذ انتعش أسلوب الزخرفة الساز المعروف منذ عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م)، وأدخلت عليه طبوع جديدة مستوحاة معظمها من فن الباروك والركوكو[49] الأوروبيين، فظهرت كثافة زخرفية على مستوى التصميم، شملت هذه الزخارف الزهور بكل أنواعها وسلال الفواكه[50]. وتخالطها عناصر غربية غير متخصصة مثل صدف البحر، والتموج، ورؤوس الزهور، والقوالب الملفوفة والمسننة والربع الدائرية، والأسطح المحدبة والمقعرة، والكتل المتموجة. وقد تمت إضافة مجموعة كاملة من الأقواس المستديرة والمدببة والمتجعدة والمتعددة الأرباع، مع إدراج ترتيبات وتنظيمات جديدة معقدة للكتابات القرآنية وزخرفتها[51].

كما ظهر لأول مرة رسم وتجسيد لشخصية السلطان والعائلة العثمانية، وقد خلّدت عدة لوحات فنية جسّدت فيها حياة السلطان الشخصية، كخرجات الصيد وبعض الاحتفالات كاللوحة التي رسمت لختان الأمراء، ويظهر فيها السلطان أحمد الثالث وكبار شخصيات الدولة، وقد كانت عملا للرسام العثماني الشهير عبد الجلال جلبي (ت 1732م) المشهور باسم لوني أي المتعدد الألوان وهو لقب يدل على مكانته الثقافية والفنية، خاصة أنه اهتم إلى جانب الرسم بالأدب والشعر[52]. وقد صور الحفل والعروض المختلفة التي صاحبته، إضافة لتميزه في رسم شخصيات الدولة وترتيبها حول السلطان كل حسب وظيفته، زد على هذا براعته في رسم الزخارف والزينات المستخدمة على الملابس وفرش الأرضية، فنقل لنا صورة حضارية عن الخصائص المميزة لعصر التوليب[53]. كما تميّز فنه بتجسيده للعنصر النسوي في رسوماته، وتمثيل أجسادهم وملابسهم، وإظهار الجمال والرونق فيها. وقد أكد الكثير من النقاد الفنيين أن أعمال لوني عكست عصر التوليب وأثّر فيها فن الباروك والركوكو، من خلال رسم السجاد والخيام كخلفية للوحاته.

نفس الفكرة استمرت مع الفنان عبد الله البخاري، الذي حاول هو بدوره إضفاء لمسته الخاصة على الرسم العثماني في تلك الفترة، بمحاولة مزج التقنيات الغربية بفن المنمنمات التقليدي محاولا إعطائها طابع ثلاثي الأبعاد. وقد نجح كل من لوني والبخاري في وصف الكثير من جسد المرأة ومواصفات الجمال وقتها، علاوة على تفاصيل دقيقة لملابسها وعاداتها اليومية. حتى بعض الممارسات الدخيلة على المجتمع العثماني كالتنزه في الحدائق العامة، وتوثيقه بالرسومات للمهرجانات والحفلات التي أصبحت أحد أهم المظاهر الاجتماعية لحياة الطبقة الارستقراطية[54].

المحور الرابع: فترة التوليب على ضوء الدراسات التاريخية الحديثة:

طغت صفة البذخ والاستهلاك المفرط وانتشار أنماط معيشة جديدة مقلدة لمثيلاتها الأوروبية التي سميت مبتذلة"a la franka" في كتابات الباحثين والمؤرخين الأتراك والمستشرقين في القرن العشرين، الذين صنفوا عهد السلطان أحمد الثالث والصدر الأعظم إبراهيم باشا أنها فترة استهلاك وبذخ واسعين، نتيجة لتأثرهم بأوروبا التي بصمت كل القرن الثامن عشر. كما رافقت صفة التقليد وانحطاط هذا القرن وتعدتها للتاسع عشر، نتيجة الأيديولوجية السياسية والخطاب القومي المتنامي مع وصول الاتحاديين لمقاليد الحكم ليتأصل أكثر مع الجمهورية، بيد أن الدراسات الحديثة القائمة على المصادر الأرشيفية كدفاتر المصاريف

وسجلات المحاكم الشرعية التي تعود لهذه الفترة، إضاقة لتغير نظرة المؤرخين في دراسة تاريخ الدولة العثمانية على أنها جزء من التاريخ العالمي وليست الطرف الآخر للغرب، نسفت النظريات الأولى ليظهر ترتيب وتقييم جديد لفترة التوليب والقرن الثامن عشر ككل.

أولا- نقد وتقييم أنماط الاستهلاك والمظاهر الاجتماعية:

أظهرت الدراسات الحديثة أن نمط معيشة السلطان والطبقة الأرستقراطية لم يتغير، بل هو استمرار لما كان شائعا لدى السلاطين والوزراء خلال القرن السابع عشر، منها دراسة للباحث التركي سليم قارة حسان أوغلو الذي قارن بين بيانات دفتر مصاريف الصدر الأعظم إبراهيم باشا وسلفه سلحدار علي باشا (1713-1716م) والتي تظهر أن المصاريف في كلا العهدين كانت متقاربة. بل وُجد أن إيرادات إبراهيم باشا في الكثير من هذه الدفاتر كانت أكبر بكثير من مصاريفه، ما مكّنه من ادخار الفائض حتى قيمة المواد التي استهلكها كانت أقل من قيمة ما استهلكه علي باشا.

كما لاحظ أن كثرة الصرف والاستهلاك عادةً ما تكون في مناسبات محددة كشهر رمضان المعظم؛ إذ تكثر فيه كميات المواد المستخدمة بسبب المآدب والصدقات، في حين لم حين لم تختلف مصاريفه ومواد استهلاكه في بقية الأشهر عمّا كان دارجا بين طبقة موظفي الدولة والمجتمع ككل. حتى أن الاحصائيات كشفت أن إبراهيم باشا وأسرته انفقت ما بين 1718م إلى 1730م ما أنفقه سلحدار علي باشا في عامين فقط[55]. نفس النتيجة وصلت إليها ثريا فاروقي في دراسة قائمة على سجلات تركات بعض نساء بورصة؛ حيث وجدت أن نفس أسلوب المعيشة واللباس نهايات القرن السابع عشر استمر إلى ثلاثينيات القرن الثامن عشر؛ إذ واصلت المرأة في الاهتمام بتزيين البيت بأنواع السدر والوسائد المصنوعة من المخمل، والمطرزة بالخيوط الملونة والذهبية وأيضا أنواع السجاد، كما أن ثيابها لم تتغير كثيرا عدا استخدامها إلى جانب القطيفة والقطن، الحرير بأنواعه السادة أو المزركش بخيوط الذهب والفضة المعروف بالديباج، وهذا راجع لاشتهار المدينة في هذا القرن بصناعتها الرائدة لخيوط الحرير ونسيجه[56].

هذه الاحصائيات تلغي نظرية الاستهلاك المفرط التي دأب المؤرخون على اعتبارها أهم ميزة لعصر التوليب، ما يجعلنا نستنتج أن ما تغير هو نوعية المواد المستهلكة التي تم استيراد معظمها من أوروبا، بعد اتساع عمليات التجارة والنقل البحري التي انتقلت معها المواد الزراعية والصناعية من مختلف أنحاء العالم إلى أسواق الدولة العثمانية.

وإذا ما قارنا ما جاء في الدراسات الحديثة القائمة على الوثائق الأرشيفية، وما كتبه بعض ممن عاش قترة التوليب وما قبلها، يتضح أن نمط اللباس الفاخر المطرز بالخيوط الذهبية والفضية وطريقة التزيين باستخدام المصوغات الذهبية والأحجار الماسية كان دارجاً لدى العثمانيين من الطبقة الحاكمة والأرستقراطية، إضافة لطريقة المعيشة وتزيين البيوت والأثاث الفاخر، تماماً مثلما درج العثمانيون على التنزه في الحدائق والساحات العامة. وقد جاء في رسائل السيدة مونتجو الكثير من هذا الوصف للحياة الاجتماعية لمدينة أدرنه وإسطنبول وطرق الترفيه التي كانت تتبعها النساء كالذهاب للحمام أو الزيارات وما كانت تشتمل عليها من ترفيه بالغناء والرقص. كما أنها انبهرت بألبسة الأميرات وخادماتهن المزينة بالتطريز والأحجار الكريمة، وتعجبت من فخامة القصور والبيوت وطريقة تزيينها، فنجدها تصف اتساع قصر علي باشا وفنيّات تزيينه الراقية باستخدام الخشب، والصدف، والخزف، والكريستال، والبورسلين، وهذا حتى قبل تولي إبراهيم باشا الصدارة العظمى[57].

كما أن ثقافة التنزه في الحدائق والأماكن العامة واقتناء الأزهار خاصة التوليب كانت ثقافة مشرقية منتشرة من دلهي لسراييفو العثمانية منذ القرن السابع عشر وإن كانت قد ساهمت في تعزيزها الحركة التجارية وانتشار السلع الأوروبية كالأزهار والمنتوجات النسيجية. فهناك صورة تعود لبدايات القرن السابع عشر تصور سيدة فارسية رفيعة المستوى مستلقية وسط حديقة مملوءة بالزهور وأمامها تاجر أوروبي يعرض سلعه الباهظة الثمن[58].

زيادة على ذلك؛ يتضح أن عصر التوليب لم يكن موجودًا بالطريقة التي صورها المؤرخون خلال القرن الماضي خاصة أعمال رفيق التناي الذي حاول اظهار الممارسات والمظاهر الاجتماعية وربطها بانتشار زهرة التوليب. إلا أن تاريخ الزهرة واستخداماتها منذ عهد القبائل البدو في آسيا الوسطى إلى غاية ارتباطها بالفنون الديكورية العثمانية، يؤكد لنا الدور المهم للزنبق في الثقافة التركية، ومن ثم فالسنوات بين 1718 و1730م لم تشهد تغييرًا كبيرًا في اهتمام العثمانيين بهذه الزهرة حتى تستحق وجود عصر خاص بها[59].

علاوة على ذلك؛ نجد أن المجتمع العثماني منذ عهوده الكلاسيكية مارس الترفيه الجماعي، ودأب على مشاهدة عروض الكوميديا التي تمثلت في عرض الظل القره غوز وعروض الرثاء، والقصص العامة (مديح)، وأشكال مختلفة من العروض بالدمى والتي يعود تاريخها إلى الطقوس الدينية القديمة. إضافة لإحياء كل المناسبات من مراسم الختان، والزفاف، والمهرجانات، والطقوس الصوفية، وأنشطة الرياضة، ومراسم الانتصار، والاحتفالات الدينية، وأنشطة التعزية التي تعقب وفاة الأبطال المحترمين والشخصيات الشعبية المحبوبة، وغيرها من الأنشطة الجماعية، وكانت تقام جميعها في أماكن التنزه والحدائق العامة[60].

وفي سياق إعادة تقييم عصر التوليب ظهرت دراسة تؤكد أن رفيق التناي اعتمد في كتابته عن دور اللاله وصروحها العمرانية كقصر سعد آباد على مصادر غربية خاصة الفرنسية ككتابات ألبرت فاندال الذي كان واثقًا تمامًا من تفوق ثقافة بلاده على الثقافات الأخرى، بدلا من اعتماده على كتابات الأتراك الذين عاصروها[61]. ويتضح أن التناي كان يحاول ربط التغريب والتحديث في الدولة العثمانية ببداية القرن الثامن عشر وأن الطبقة الحاكمة سعت للاندماج معه، وهذا ليبرر الأيديولوجية السائدة في عهد الجمهورية.

ومن خلال هذه الاحصائيات والنتائج يظهر لنا أن المؤرخين والباحثين في فترة التوليب قد بالغوا في تحليلهم لأنماط الاستهلاك، سواء بين الطبقات الحاكمة والأرستقراطية أو حتى عامة الشعب ووصفوها بالإفراط، في حين كانت امتدادا لعادات القرنين السادس عشر والسابع عشر. فالتغير في الاستهلاك حدث في وقت سابق واتسع أكثر مع الحركة الميركنتلية الأوروبية للقرن الثامن عشر وكان من حيث التنوع وليس القيمة والكم.

ثانيا- المنشآت العمرانية وعلاقتها بالهندسة الغربية:

نجد المؤرخ المعماري جلال أسعد ارسفين ينعت المباني التي بنيت في القرن الثامن عشر على أنها تشويه فني وبصري لفن العمارة العثماني الكلاسيكي الذي تم تجاهله كليا بتبني خصائص العمارة والزخرفة الأوروبية، فلم ينتج عن هذا غير القبح المتجلي في مسجد نور عثمانية ومسجد لاليلي. أما معاصره المؤرخ محمد ضيا بك فقد صعّد خطاب الهجاء أكثر في كتاباته، واصفا عمارة القرن الثامن عشر من بدايته أنها مجرد انحطاط فني وبصري بسبب ما جلبه المهندسون الأوروبيين من أشكال فن غريبة تدعى الركوكو[62]. ولكي يظهر المؤرخين الأتراك مظاهر الانحطاط الذي عرفته الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر يقارن كوبان بينه وبين القرون الكلاسيكية؛ حيث كانت الدولة قوية تمكنت من خلق نمط عمراني خاص بها، لكن بضعفها تأثرت بمن هم أقوى منها فظهرت الأنماط الأوروبية في العمارة العثمانية.

بيد أن هذا كله تغير مع اتجاه الجمهورية التركية للتغريب؛ إذ بدأ المؤرخون يصفون عمارة القرن الثامن عشر على أنها قومية صرفة تمكنت من خلف فن ركوكو عثماني خالص، في حين ترى شيرين حمادة أن العمارة في القرن الثامن عشر تقبلت وانفتحت على الكثير من المؤثرات العمرانية الفارسية، المغولية، والهندية إضافة للأوروبية لتمتزج كلها وتخلق بهذا أسلوبا معماريا وفنيا مميزا للقرن الثامن عشر وما تلاه[63].

كما اعتبرت كل ما قيل عن سعد آباد وما صاحبه من مؤثرات أوروبية وتقليد للقصور الفرنسية كفرساي وفونتان بلو، مجرد تكهنات لا دليل وصفي أو كتابي موثق عنها خاصة أنه معلم دمّر مع ثورة خليل باترونا 1730م، وحتى لو تتبعنا ما كتب حوله من شعر في قصائد نديم، أو ما جاء في الكتابات التاريخية للقصر ككتابات شيمداني زاده، لا نهتدي أبدا إلى أي أوصاف أوروبية غريبة عما كان مألوف ودارج في تلك الفترة.

بل ما نجده هي أوصاف مستوحاة من الفن المعماري الصفوي، الذي ظهر بوضوح في قصر سعد آباد وساحته الذي كان مستوحى من نموذج شهارباغ، خاصة أن الفن والذوق المعماري الصفوي ليس غريبا عن العثمانيين بل وصلهم عن طريق تقارير السفراء العثمانيين للبلاط الصفوي وقصائد الشعراء وروايات الرحالة والتجار، إلا أن الهزيمة المدوية للعثمانيين أمام الصفويين عام 1730م أحدثت نوعا من القطيعة لتنفتح العمارة بعدها على الأسلوب الأوروبي أكثر[64].

والشائع أن نافورة أحمد الثالث بأبعادها الهائلة وروعة زخارفها كانت أول نماذج نوافير الميدان، إلا أنها مجرد تطوير لنماذج يعود تاريخها للقرن السابع عشر؛ إذ نجد أقدم نافورة ميدان هي نافورة سلحدار مصطفى آغا التي بنيت عام 1682م باسكودار. لتظهر عدة نوافير ميدان في العقد الأول من القرن الثامن عشر كنافورة ازميرلي علي بابا وإسماعيل آغا عام 1703م[65]. ثم نجد التناي أكثر مؤرخ كتب بإعجاب عن فترة التوليب، والتغييرات التي حدثت في مجتمعها وعن أعمال إبراهيم باشا يقول في كتابه إن اسطنبول في فترة حكم أحمد

الثالث حافظت بشكل شبه كامل على جمالها الطبيعي، ولم تحتوي على أي مبان بارزة ما عدى أربعة أو خمسة قصور بيضاء متقنة الصنع بنيت على ضفة البوسفور وبعض المآذن البيضاء التي زينت المساجد الصغيرة على ساحل الأناضول[66]. وهكذا يتضح لنا أن التغيرات التي حدثت على الهندسة المعمارية العثمانية لم تكن نتاج التأثر بالغرب وإنما نتيجة انفتاح الدولة العثمانية على حضارات عدة ومرونتها في استقبال المؤثرات لتحولها على طريقتها إلى تحف معمارية.

ثالثا- العامل السياسي ودوره في توجيه ممارسات الدولة:

أغفل الكثير من مؤرخي الجمهورية الوضع الداخلي والخارجي للدولة العثمانية وكيف أثّر على مكانة وقوة السلطان بل والدولة ككيان، فالهزائم المتكررة والتخلي عن أراضي إسلامية للكفار، ثم انعزال السلاطين وابتعادهم عن الظهور، واستقرارهم في أدرنه منذ نهاية القرن السابع عشر وإهمال دار الخلافة اسطنبول، كلها معطيات أثرت على شرعية السلطان العثماني.

لذا حاول إبراهيم باشا إبطال الصورة النمطية التي ارتسمت في أذهان الناس عن السلطان واعتبار حياته الخاصة سر لا يحق لأي كان الاطلاع عليه، ما خلق فجوة بينه وبين رعيته، فتبنى استراتيجية تقرب السلطان من الناس من خلال كثرة ظهوره في الحفلات والتجمعات التي يشتركون فيها. أو من خلال أسلوب بناء جديد يقلل من كمية الحواجز والأسوار التي تحيط بأماكن تواجد السلطان وهذا ما حدث في هندسة سعد آباد التي فتحت القصر على الحدائق المجاورة له التي ضمت مساكن كبار الشخصيات العثمانية، وأصبح الشكل الهندسي المعتمد لكل القصور الملكية خلال القرن الثامن عشر[67].

علاوة على ذلك؛ اجتهد في تجميل مدينة اسطنبول خاصة الواجهة البحرية للبسفور لإخفاء حالة الانهيار العمراني أمام سفراء الدول الأجنبية الذين استقروا فيها عام 1718م لأجل جولة أخرى من مفاوضات السلام، محاولاً إعادة بعث صورة اسطنبول كعاصمة لدولة عظيمة أمام القوى الأوروبية. وقد أكد بيرتوسييه العلاقة بين هذه التظاهرات البذخية والشعور بالهزيمة الذي أصاب العثمانيين منذ بداية القرن، فعندما يقوم السلطان بزيارة بعض الأماكن الريفية يسبقه عدد كبير من القوارب بعضها يحمل ضباطه وجنوده وبعضها الآخر يحمل خيوله ومعداته للتخييم، وما إلى ذلك من البروتوكول المتبع في هذه الرحلات المأخوذة عن الأباطرة الشرقيين الذين كانوا يمتلكون عددًا من منازل الاستجمام المنتشرة على ضفاف مضيق البوسفور، وكانوا يذهبون إليها محاطين بجو مهيب، خاصة عندما لم يبق لديهم سوى الغرور ليعوضهم عن الخسائر الحقيقية التي منيوا بها[68].

ومن الأشياء التي تؤكد أن هدف الدولة العثمانية في الأساس كان استعادة قوتها وشرعيتها تلك القوانين التي حاولت فرضها حتى وهي في أوج ثقافة الاستهلاك. فبعد تزايد اتصال النساء بالأماكن العامة اتخذت تدابير تتحكم في الموضات وأساليب الهندام الجديدة التي لفتت انتباه السلطات، فأصدر الصدر الأعظم إبراهيم باشا قوانين تلزم النساء بالتقاليد العثمانية في لباسهن، فحدد طول العباءات وكميات الدانتيل المستخدمة، إضافة لمنع الألبسة الشفافة في الأماكن العامة ومعاقبة أي امرأة ارتدتها أو خرجت سافرة الوجه [69]، دون أن نتغافل عن سياسة الحكومة الاحتكارية التي منعت تصدير البضائع المحلية وفرضت عليها ضرائب مرتفعة، في حين سمحت للبضائع الأوروبية خاصة الفرنسية الدخول لأراضيها بمقتضى معاهدات الامتيازات[70]. ما جعل العثمانيون يقبلون على السلع الأوروبية اكثر.

خاتمة:

وفي ختام هذا الموضوع نستنتج أنه على الرغم مما كتب أو قيل عن فترة التوليب فإنها تبقى مرحلة عرفت فيها الدولة العثمانية تفاعلات سياسية واقتصادية وحضارية جعلتها تدرك ضرورة التأقلم والتكيف معها. فعقب خسارتها المدوية في كارلوفيتش ثم بيساروفيتش، هزّت مكانة الدولة ليس فقط بين الدول الأوروبية والعالم بل حتى بين رعاياها؛ إذ تناقصت هيبة السلطان العثماني، وشكّك البعض في مدى شرعيته. فكان على السلطة أن تظهر بصورة غير صورة المنهزم، فنراها أعادت إحياء عاصمتها التاريخية اسطنبول من خلال مجموعة من المشاريع التنموية، وإبراز صورة السلطان والنخبة الحاكمة محاطين بمظهر القوة والعظمة.

كما حاولت فهم تحولات النظام الاقتصادي العالمي وتحوله إلى الميريكنتلية، وانتقال الأفكار والتأثيرات الحضارية مع الأشخاص والبضائع، وانتشرت معها ثقافة استهلاك واسعة لم تقتصر على الدولة العثمانية بل على العالم ككل. فمثلما ظهرت ثقافة الألفرانكا في الدولة العثمانية ظهرت ثقافة التيركري في الدول الأوروبية وخُلّدت في أعمالهم الأدبية

كمسرحية البرجوازي النبيل "le Bourgois Gentilhomme" لموليير وبعض الأوبرات كأوبرا تيمور لنك لهانديل عام 1724م، وقبلها أوبرا محمد الثاني لرينهارد كايزر عام 1693م، واستمرت هذه الثقافة طيلة القرن الثامن عشر[71].

غير أن دور الضعف والهزائم التي أعقبت فترة التوليب وكانت خاصية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر جعلت المؤرخين خاصة في فترة الاتحاديين والجمهوريين يبرزونها على أنها بداية تقليد ومحاكاة العثمانيين الضعفاء لأوروبا المتحضرة القوية والابتعاد عن الأسس التقليدية للدولة العثمانية، بيد أن هذه النظرة تغيرت مع مطلع ثمانينات القرن العشرين، لتظهر دراسات حديثة قائمة على دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي العثماني في إطار تاريخ عالمي وليس منعزل، واستطاعت تفنيد الكثير من الأخطاء والمغالطات التي أُلحقت بالثلث الأول من القرن الثامن عشر.

. قائمة المصادروالمراجع:

• قائمة المصادر:

- محمد أفندي سفارتنامة، **جنة الكفارسفيرعثماني في باريس سنة 1721**، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، تقديم: خالد زيادة، ط1، منشورات دار أبي الرقراق، المغرب، 2017.

- مونتجو ماري وتلي، **رسائل من تركيا (1716-1718)**، تر: ايزابيل كمال، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2006.

- نزهت سليم، **تاريخ الطباعة في تركيا 1729-1929**، تر: سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993.

- Altanay Ahmed Refik, **Lale Devri**, 2019. https://www.kitapindi.com/genel/ahmed-refik-lale-devri/.

- Müteferrika Ibrahim, **Traité de la taktique ou Méthode Artificielle Pour L'ordonnance des Troupes (1769)**, Edition Etablie par Ferenc Toth, Institu de Stratigie Comparée, Hongrie, 2018.

- Yirmisekiz Mehmet Celebi, **Bayan Ma Dhakarahu Muhammad Afandi Al-Awalji Al-Marsul Min Taraf Al-Dawùah Al-Aliyah Ila Faransa Wa-ma Shahadahu Hunak**, d 1732, Manuscript, Undated, MS Arab SM 191, Houghton Library, Harvard University.

-قائمة المراجع:

• الكتب:

- ابراهيم أنيس، وآخرون، **المجمع الوسيط**، ط 4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004.

- ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 5، طبعة منقحة، دار المعارف القاهرة، د.س.

- إحسان أوغلى أكمل الدين ، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر: صالح سعداوي، مج1، د/ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م

- اورتايلي البير، **إعادة استكشاف العثمانيين**، ترجمة بسام شيحا، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2012.

- اينالجيك خليل، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، مج 2، تر: قاسم عبده قاسم، ط1 دار المدار الاسلامي، لبنان، 2017.

- ج.هـ. مورتمان، **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة ابراهيم باشا، تر: محمد ثابت الفندي وآخرون، ج 1، ط3، 1933م.

- خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوروبي – دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.

- يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر عدنان محمود سلمان، ج 1، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990.

- Berkes Niyazi, **The Development of Secularism in Turkey**, Hurst and Company, London, UK, 1998.

- Göçek Fatma Müge, **East Encounters West, Erance and the Ottoman Empire in the Eighteenth Century**, Oxford University Press, Washington, 1987.

- Kabacalı Alpay, **Türk Kitap tarihi, cilt 1, ikinci baskı**, Cem Yayınevi, Istanbul, 1989.

- Salzmann Ariel, **The Age of Tulips: Confluence and Conflict in Early, Modem Consumer Culture (1550-1730)**, in Consumption Studies and The History of the Ottoman Empire 1550-1922, Edited by Donald Quataert, University of New York Press, New York, 2000.

- Shaw Stanford J, Ezel Kuzal Shaw, **History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey**, volume 1, Cambridge University Press, New York, 1976.

- Şen Adil, Ibrahim Müteferrika ve Usülü'l Hikem Fi Nizami'l Ümem, Türkiye Diyanet Vakfı, Türkiye 1995.

• المقالات:

- سهير محمود عثمان وآخرون، "**دراسة مقارنة بين فن الركوكو لابتكار تصميمات المعلقات النسيجية المعاصرة**"، Intarnational Design Journal, Volume 11, Issue 5, September 2021, pp 121-131.

- Alarslan Burcu, "**Islamic Gardens with a Special Emphasis on the Ottoman Paradise Gardens: The Sense of Place between Imagery and Reality**", Online Journal of Communication and Media Technologies, Volume 1, Issue 4,2011, pp 44-96.

- Birkan Fuat Ozan, "**Topkapı'dan Sâdâbâd'a : 15. Yüzyıldan 18. Yüzyıla Osmanlı Sultanının Sarayında ve İnzivasında Mekânsal Dönüşüm**", Osmanlı Medeniyeti Araştırmaları Dergisi, Sayı 15, Ekim, 2022, pp 1-16.
- Celetti David, "**French Residents and Ottoman Women, in 18th-Century Levant: Personal Relations, Social Control, and Cultural Interchange, In Women, Consumption and the Circulation of Ideas in South-Eastern Europe, 17th–19th Centuries**", Edited by Constanța Vintilă-Ghițulescu, Brill, Volume 20, Lieden, 2017, pp 47-64.
- Erdoğan Sinem Işkorkutan," **Chasing Documents at the Ottoman Archive: an Imperial Circomcisions Festival Under Scrutiny**", The Medieval History Journal, Volume 22, Issue 1, 2019, pp 156-181.
- Falierou Anastasia, "**European Fashion, Consumption Patterns, and Intercommunal Relations in the 19th-Century, in Women, Consumption and the Circulation of Ideas in South-Eastern Europe, 17th–19th Centuries**", Edited by Constanța Vintilă-Ghițulescu, Brill, Volume 20, Lieden, 2017, pp 150-168.
- Faroqui Suraiya," **Women ; Wealth and Textiles in 1730s Bursa, in LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and Ottoman Empires of the Eighteenth Century**", Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, volume 13, Leiden, Boston,2017, p313-335.
- Hamadeh Shirin, "**Ottoman Expressions of Early Modernity and the Inevitable Question of Westernization**", Journal of the Society of Architectural Historians, Vol. 63, No. 1, University of California Press, Marsh. 2004, PP 32-51.
- Hamadeh Shirin, "**Westernization, Decadence, And The Turkish Baroque : Modern Construction Of The Eighteenth Century**", MUQARNAS, History and Ideology: Archietuctural Heritage of the Lands of Rum, Julia Bailey, Brill, Volume 24, Leiden, Boston, 2007, pp 185-197.
- Karahasanoğlu Selim, "**the Paradigm of the Tulip Age: The Consumer Behavior of Nevşehirli Damad Ibrahim Paşa and His Household, in LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and ottoman empires of the Eighteenth century**", Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, Volume 13, Leiden, Boston,2017, pp134-160.
- Koçyiğit Fazilet, "**Osmanlı Mimarisinde Meydan Çeşmeleri**", Mediterannean Art, vol 13, 2019.
- Ocakoğlu Nuran, **"Osmanlı Srayı Kadın Giysileri ve Günümüz Giysi Tasarımına Bir Uyarlama, in Ulakbilge**", Volume 6, Issue 30, Institute for Art and Language Studies, Ankara, 2018, pp 1537-1548.
- Quataert Donald," **Clothing Laws State And Society In The Ottoman Empire, 1720-1829**", Int. J. Middle East Stud, Volume 29, Printed in the United States of America, 1997, pp 403-425.
- Yildirim Beste, "**Woman Figure in Two Ottoman Miniature Painters**", pp. 30-42, in Boletín de Arte (N.° 16), Facultad de Bellas Artes, Universidad Nacional de La Plata, Argentina, septembre 2016, pp 339-353.
- Yılmaz Yıldız, "**Cuting a Fine Figure among pots and pans : Aghas of the Soltan's Harem in the Eighteenth Century, in LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and ottoman empires of the Eighteenth century**", Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, Volume 13, Leiden, Boston,2017, pp 113-133.

• **الأطروحات:**

- Büke Sümeyye Hoşgör, **Changes in the Consumption of Ottomans in the Eighteenth Century, Ph.D., Department of History, Middle East Technical University, Ankara, Turkey, 2019.**
- **Hamadeh Shirine, The City's Pleasures: Architectural Sensibility in Eighteenth-Century Istanbul**, PHD Thesis, the Department of Architecture, Massachusetts Institute of Technology, USA, 1999.

• **المداخلات:**

- حسان عبد الله حسان، "**الإصلاح المعرفي والتغريب عند النخب الفكرية في دول الأركان: مصر، تركيا، إيران**"، المؤتمر العربي التركي للعلوم الاجتماعية،10-12/ديسمبر/2010، مركز التفكير الاستراتيجي، جامعة غازي عثمان، ومركز الدراسات الحضارية، جامعة القاهرة، تركيا.

- Fry Rachel R., **Gardens in the Air: A Reexamination of the Ottoman Tulip Age**, Student Publications. 103, Gettysburg College, 2013.
- Gilles Venstien, **Les Missions Diplomatiques Ottomanes en Europe Avant L'instauration Des Ambassades Permanentes**, p749-773 Le 21-01-2008 à 16 :25. cours In Histoire Turque er Ottomane.

• **مو اقع الانترنت:**

- Baroque et Classicisme au XVIIe Siècle, http://blog.acversailles.fr/zizaniemichelet/public/Dom_Juan/intro/baroque_et_classicisme.pdf crée le 20/01/2013 à 12:18:47, vu le 15/07/2023 à 09: 27.

. الهوامش:

[1] - **معاهدة كارلوفجه 1/26/ 1699**: وقعت في عهد السلطان مصطفى الثاني بعد سلسلة من الحروب ضد النمسا وتحالف من الدول الاوربية على رأسها البندقية وروسيا وتأرجحت كفة الانتصارات بين الطرفين غير أن أهم المعارك كانت معركة زيتا 1697/9/11 أين انهزم فيها العثمانيون، تنازلت فيها الدولة عن أراضي في المجر والمورة وآزوف، وألغيت الضرائب

الأوربية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية. أنظر: يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر عدنان محمود سـلمان، ج 1، ط1، منشـورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990، ص ص 575-582. وأيضا:
Stanford J Shaw, Ezel Kuzal Shaw, **History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey**, volume 1, Cambridge University Press, New York, 1976, p 224.

[2] - **السلطان أحمد الثالث (1703-1730م):** ولد في حاجي أوغلو بازاري في دوبرجه عرف بميله للسلام، كان شاعرا وموسيقارا، وخطاط كبير، حمل فكرة الإصلاح وآمن بتجديد المؤسسات العثمانية، أنظر: أوزتونا، المرجع السابق، ص ص593، 594.

[3] - **الصدر الأعظم إبراهيم باشا (1678-1730م):** ولد في نيفشهر، تقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية منها: سردار، كاتب الحريم السلطاني، كاتب سر رئيس الخصيان، رئيس المحاسبات، دفتر دار الأقاليم، والصدر الأعظم عام 1718م، حمل لقب "داماد"لأنه كان صهر السلطان أحمد الثالث، تعتبر صدارته أزهى العصور في الدولة العثمانية بحيث شهدت ازدهاراً في الأدب والفنون والعمارة، وتوثيق علاقات الصداقة مع الدول الأوروبية من خلال ارسال السفارات وابرام معاهدات السلام، إلا أن سياسته أدت إلى معارضة الشعب وبعض الدوائر الحكومية فقامت "ثورة خليل باترونا 1730م" التي أدت إلى نهايته وخلع السلطان أحمد الثالث، أنظر: ج.هـ. مورتمان، **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة ابراهيم باشا، تر: محمد ثابت الفندي وآخرون، ج1، ط3، 1352هـ/1933م، ص ص 49، 50.

[4] - خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوروبي – دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981م، ص ص15، 16.

[5] - إبراهيم أنيس، وآخرون، **المجمع الوسيط**، ط 4، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 647.

[6] - ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 5، طبعة منقحة، دار المعارف القاهرة، د.س، ص 3225.

[7] - حسان عبد الله حسان، "**الإصلاح المعرفي والتغريب عند النخب الفكرية في دول الأركان: مصر، تركيا، إيران**"، المؤتمر العربي التركي للعلوم الاجتماعية، مركز التفكير الاستراتيجي، جامعة غازي عثمان، ومركز الدراسات الحضارية، جامعة القاهرة، تركيا، 10-12/ديسمبر/2010، ص3.

[8] - سفارتنامة محمد أفندي، **جنة الكفار سفير عثماني في باريس سنة 1721**، تحقيق عبد الرحيم بنحادة، تقديم خالد زيادة، ط1، منشورات دار ابي الرقراق، المغرب، 2017، ص ص 20- 23.

[9] - Gilles Venstien, **Les Missions Diplomatiques Ottomanes en Europe Avant L'instauration des Ambassades Permanentes**, p749-773 cours en Histoire Turque et Ottomane 21-01-2008 a 16 :25, P767.

[10] - Mehmet Celebi **Yirmisekiz, Bayan Ma Dhakarahu Muhammad Afandi Al-Awalji Al-Marsul Min Taraf Al-Dawùah Al-Aliyah Ila Faransa Wa-ma Shahadahu Hunak**, d 1732, Manuscript, Undated, MS Arab SM 191, Houghton Library, Harvard University, PP 10-36.

[11] - Yirmisekiz Mehmet Celebi, opcit, p 32.

[12] - **إبراهيم متفرقة**: رجل فكر وسياسة، ينحدر من أصل مجري، ولد عام 1670م، تم أسره عندما دخل الجيش العثماني بلدة كولوزفار عام 1691م، وفي إسطنبول اعتنق الإسلام، انخرط في صفوف الجيش العثماني وارتقى لمنصب متفرقة، انظر:
Ibrahim Müteferrika , **Traité de la taktique ou Méthode Artificielle Pour L'ordonnance des Troupes (1769), Edition Etablie par Ferenc Toth**, Institu de Stratigie Comparée, Hongrie, 2018, PP17,18.

[13] - لم تكن المطبعة التي أسسها إبراهيم متفرقة الأولى فقد امتلكت الأقليات عدة مطابع بعد فترة وجيزة من ظهورها في أوروبا، فحصل اليهود بعد 1493م على مطبعة في إسطنبول وأخرى في سلانيك. كما امتلك الأرمن مطبعة بإسطنبول عام 1568م فعندما عاد ابغار السيواسي الأرمني من البندقية، وقد انزعجت السلطات العثمانية من قيام الطوائف الدينية باستغلال المطبعة لنشر كتبهم الدينية، فتدخل السلطان وأصدر فرمان تم فيه حظر المطبعة. للمزيد أنظر: سليم نزهت، تاريخ الطباعة في تركيا 1729-1929، تر: سهيل صابان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993، ص ص 12-35. وأيضا:
-Alpay Kabacalı, **Türk Kitap tarihi**, cilt 1, ikinci baskı, Cem Yayınevi, Istanbul, 1989, P28,29 .

[14] - Adil Şen, **Ibrahim Müteferrika ve Usülü'l Hikem Fi Nizami'l Ümem, Türkiye Diyanet Vakfı**, Türkiye 1995, PP 50-57.

[15] - نزهت، المصدر السابق، ص 49-67.

[16] - Niyazi Berkes, **The Development of Secularism in Turkey**, Hurst and Company, London, UK, 1998,PP 49, 50.

[17]- Shirin Hamadeh, "**Ottoman Expressions of Early Modernity and the Inevitable Question of Westernization"**, PP 32-51, Journal of the Society of Architectural Historians, Vol. 63, No. 1, University of California Press, Marsh. 2004, P 40, 41

[18] – Ahmed Refik Altanay, **Lale Devri**, 2019, P 27. https://www.kitapindi.com/genel/ahmed-refik-lale-devri/.

[19]- ماري وتلي مونتجو، **رسائل من تركيا (1716-1718)**، تر: ايزابيل كمال، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2006، ص 81.

[20] - Sinem Erdoğan Işkorkutan, **"Chasing Documents at the Ottoman Archive: An Imperial Circumcision Festival Under Scrutiny"**, pp 156-181, in The Medieval History Journal, Volume 22, Issue 1, 2019, P 157.

[21] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures: Architectural Sensibility in Eighteenth-Century Istanbul**, PHD Thesis, the Department of Architecture, Massachusetts Institute of Technology, USA, 1999, P 73.

[22] - Fatma Müge Göçek, **East Encounters West, Erance and the Ottoman Empire in the Eighteenth Century**, Oxford University Press, Washington, 1987, P 79.

[23] - البير اورتايلي، **إعادة استكشاف العثمانيين**، ترجمة بسام شيحا، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2012، ص 66.

[24] - Ariel Salzmann **The Age of Tulips: Confluence and Conflict in Early, Modem Consumer Culture (1550-1730)**, pp 83-106, in Consumption Studies and The History of the Ottoman Empire 1550-1922, Edited by Donald Quataert, University of New York Press, New York, 2000, P 91.

[25] - David Celetti, "**French Residents and Ottoman Women in 18th-Century Levant: Personal Relations, Social Control, and Cultural Interchange**, pp 47-64, **In Women, Consumption and the Circulation of Ideas in South-Eastern Europe, 17th–19th Centuries"**, Edited by Constanța Vintilă-Ghițulescu, Brill, Volume 20, Lieden, 2017, p47, P 61.

[26] - Anastasia Falierou, "**European Fashion, Consumption Patterns, and Intercommunal Relations in the 19th-Century**, pp 150-168, **in Women, Consumption and the Circulation of Ideas in South-Eastern Europe, 17th–19th Centuries**", Edited by Constanța Vintilă-Ghițulescu, Brill, Volume 20, Lieden, 2017, P 152, 153.

[27] - Nuran Ocakoğlu, "**Osmanlı Srayı Kadın Giysileri ve Günümüz Giysi Tasarımına Bir Uyarlama, pp 1537-1548**", in Ulakbilge, Volume 6, Issue 30, Institute for Art and Language Studies, Ankara, 2018, PP 1541, 1542 .

[28]- Sümeyye Hoşgör Büke, **Changes in the Consumption of Ottomans in the Eighteenth Century**, Ph.D., Department of History, Middle East Technical University, Ankara, Turkey, 2019, P 97.

[29]- مونتجو، المصدر السابق، ص 180.

[30] - Fatma Müge Göçek, Op.cit, P 79.

[31] – خليل إينالجيك، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية**، مج 2، تر: قاسم عبده قاسم، ط1 دار المدار الاسلامي، لبنان، 2017، ص 449.

[32] - Yıldız Yılmaz, **"Cuting a Fine Figure among pots and pans: Aghas of the Soltan's Harem in the Eighteenth Century,** pp 113-133 **in LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and ottoman empires of the eighteenth century"**, Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, volume 13, Leiden, Boston,2017, PP117-123

[33] - Donald Quataert, **Clothing Laws State And Society In The Ottoman Empire**, 1720-1829, Int. J. Middle East Stud. Volume 29 (403-425. Printed in the United States of America, 1997, P 408.

[34] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures: Architectural Sensibility in Eighteenth-Century Istanbul**, PHD Thesis, the Department of Architecture, Massachusetts Institute of Technology, USA, 1999, p 57, 58.

[35] - Altanay, Op.cit, P 33.

[36] - مونتجو، المصدر السابق ص 190، 191.

[37] - Fuat Ozan Birkan, "**Topkapı'dan Sâdâbâd'a: 15. Yüzyıldan 18. Yüzyıla Osmanlı Sultanının Sarayında ve İnzivasında Mekânsal Dönüşüm**", pp 1-16, Osmanlı Medeniyeti Araştırmaları Dergisi, Sayı 15, Ekim 2022, P 09

[38] - Fatma Müge Göçek, Op.cit, P 75.

[39] - Fatma Müge Göçek ibid, P 77.

[40] - Fuat Ozan Birkan, Op.cit, P 09.

[41] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures**, Op.cit, PP 58- 62.

[42] - Burcu Alarslan," **Islamic Gardens with a Special Emphasis on the Ottoman Paradise Gardens: The Sense of Place between Imagery and Reality"**, pp 44-96, Online Journal of Communication and Media Technologies, Volume 1, Issue 4,2011, PP 63-67.

[43] - Burcu Alarslan, ibid, P 80.

[44] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures...**, Op.cit, PP 94, 96 .

[45] - Burcu Alarslan, Op.cit, P 85.

[46]- **الباروك La Baroque:** مصطلح مشتق من اللغة البرتغالية "barroco" يشير إلى لؤلؤة غير منتظمة الشكل، نشأ في القرن 16م واستمر حتى الثلث الثاني من القرن 17م، ظهر ردا على الاصلاح البروتستانتي؛ حيث قررت الكنيسة الكاثوليكية إبراز جانب بذخ للكاثوليكية، وقد انطلقت هذه الحركة من إيطاليا. انظر:

Baroque et Classicisme au XVIIe Siècle, http://blog.acversailles.fr/zizaniemichelet/public/Dom_Juan/intro/baroque_et_classicisme.pdf , crée le 20/01/2013 à 12:18:47, vu le 15/07/2023 à 09 : 27.

[47] - Fazilet Koçyiğit, "**Osmanlı Mimarisinde Meydan Çeşmeleri**", pp 339-353, Mediterannean Art, vol 13, 2019, P 453.

[48] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures...**, P 102.

[49] - **الركوكو**: نمط فني فرنسي استنبط اسمه من الكلمتين الفرنسيتين Rocaille وتعني الصخرة والثانية coquille وتعني المجارة، من الفنون التراثية الأوروبية التي عرفت في عصر النهضة، نشأ و تطور في فرنسا ثم انتقل إلى بقية أوروبا ما بين 1715م و 1781م. أنظر: سهير محمود عثمان وآخرون، "**دراسة مقارنة بين فن الركوكو لابتكار تصميمات المعلقات النسيجية المعاصرة**" ص ص 121-131، في Intarnational Design Journal, Volume 11, Issue 5, September 2021, P 121.

[50] - أكمل الدين إحسان أوغلى، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، تر: صالح سعداوي، مج1، د/ط، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999م 1999، ص 725.

[51] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures**, Op.cit, P 103.

[52] - Beste Yildirim, "**Woman Figure in Two Ottoman Miniature Painters"**, pp. 30-42, Boletín de Arte (N.° 16), Facultad de Bellas Artes, Universidad Nacional de La Plata, Argentina, septembre 2016, P 33.

[53] - إحسان أوغلى ، المرجع السابق، ص 725، 726.

[54] -Beste Yildirim, Op.cit, P 33.

[55] - Selim Karahasanoğlu, " **the Paradigm of the Tulip Age: The Consumer Behavior of Nevşehirli Damad Ibrahim Paşa and His Household**", pp134-160 **, LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and ottoman empires of the Eighteenth**

century, Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, Volume 13, Leiden, Boston,2017, P 135, P 151.

[56] - Suraiya Faroqui, **Women ; Wealth and Textiles in 1730s Bursa**, p313-335 in **LIVING THE GOOD LIFE, Consumption in the Qing and Ottoman Empires of the Eighteenth Century**", Elif Akçetin and Suriya Faroqhi, BRILL, Volume 13 Leiden, Boston,2017, P 225, 226.

[57] - مونتجو، المصدر السابق، ص 111 وما بعدها.

[58] - Ariel Salzmann, Op.cit, P 90 .

[59] - Rachel R. Fry, "**Gardens in the Air: A Reexamination of the Ottoman Tulip Age, Student Publications**". 103, Gettysburg College, 2013, p1.

[60] - Burcu Alarslan, Op.cit, P71.

[61] - Rachel R. Fry, Op.cit, P 14.

[62] - Shirin Hamadeh, **Westernization, Decadence, And The Turkish Baroque : Modern Construction Of The Eighteenth Century** pp 185-197, MUQARNAS, History and Ideology: Architectural Heritage of the Lands of Rum, Julia Bailey, Brill, Volume 24, Leiden, Boston, 2007, P 185-189.

[63] - Shirin Hamadeh, **Westernization, Decadence**, Ibid, PP 193-194 .

[64] - Shirin Hamadeh, **Ottoman Expressions of Early Modernity**, Op.cit, PP 40-44.

[65] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures**, Op.cit, P106 .

[66] - Altanay, Op.cit, P 29.

[67] - Shirin Hamadeh, **Ottoman Expressions of Early Modernity…**, Op.cit, PP 40-44 .

[68] - Shirine Hamadeh, **The City's Pleasures…**, Op.cit, p 64-73.

[69] - Donald Quataert, Op.cit, 1997, P 409.

[70] - إينالجيك، المرجع السابق، ص 408، 409.

[71] - Fatma Müge Göçek, Op.cit, P 72, 73.